رائد أمة وصانع تاريخ

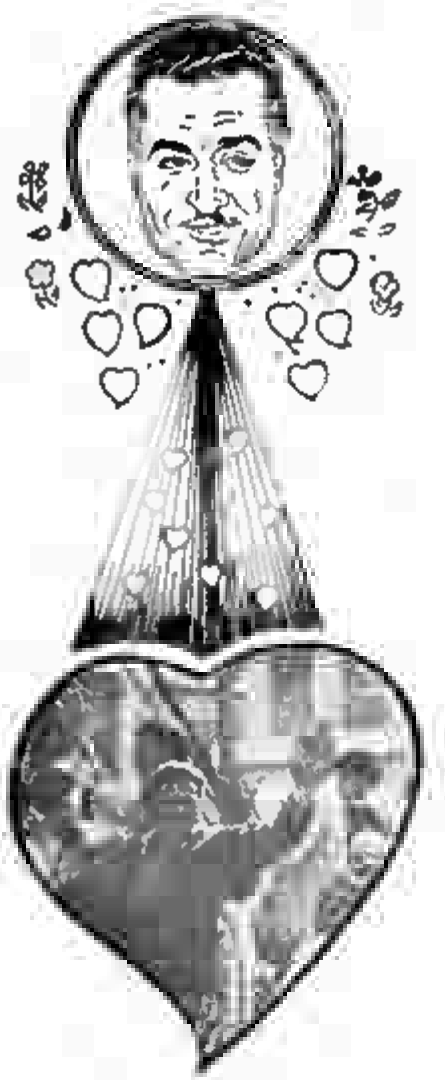

فارع القامة ، رافع الهامة ، عريض المنكبين ، تجيش حيويته فى اهاب رجولته ، فتبعث فى عينيه تطلعا الى الافق البعيد ، وتملأ قلبه ايمانا بالغد ، وثقة بالغلبة والنصر .

يلمحه على المنصة فى وقفة الحزم والعزم ، وقبالته الأفواج المرصوصة ، مشدودة الأحداق نحوه ، مرهفة الاسماع اليه ، ترقب ما يلفظ من قول ، كأنها بحر يزخر بالموج ، مسته عصا ساحر ، فامسك عن الحركة بغتة ، وران عليه سكون عميم .

بقلم
محمود تيمور

هنالك بدأ خطبته ، جهير الصوت ، ثابت المقطع ، يرسل الكلمة تلو الكلمة ، والجملة بعد الجملة ، تتجاوب بها ارجاء الفضاء الفسيح ، فاذا هي تلمع شعاف القلوب ، وتنفذ الى مكامن الشعور ، واذا البحر الساكن يبعث عنه السحر فيتدفق عارم الموج ، تستبد به حمية وحماس .

ما أجله مشهدا تتمثل فيه بصرك بين الخطيب وجمهوره ، وقد استولت عليك مهابة واكبار ، وسرت بين جنبك سارية من نشوة الخشوع .

انه في هذه الوقفة الجبارة ، في هذا السمت الأشم ، وهو مسترسل بجلجل بشراته ، يروعك منه اول ما يروعك قسمات وجهه ، اذ تتشكل في طواعية معبرة ، وتأدية مصورة .

كل جلجة ترف على محياه ، كأنما هي مرآة الكلمة التي ينطلق بها لسانه ، وروح المعنى الذي يريد الاعراب عنه ، فما هذه الجلجات التي تتعاقب على صفحة وجهه الا ترجمة حسية لتلك الكلمات التي تنبض بها شفتاه لا يعوزها البيان والافصاح .

حسبك أن تراه ، دون أن تسمعه . حسبك أن تستجلي ما يرتسم من سماته وملامحه ، لكي يتهادى الى فهمك قصارى ما يبعثه ذلك الصوت الرنان من أفكار ومعان .

أنت ماثل امامه ، لا تفتأ تطيل التحديق فيه ، في هذا الوجه الذي يكسوه طابع العروبة العريقة ، ذات السمرة الرائقة .

خلف هذه البشرة الملوحة ، تكمن خصائص العربي الصميم .

في ذلك الوجه السوي ، نموذج لابن العرب الاصيل .

انه من طينة « مصر » الزكية ، تلك الطينة التي انضجتها شمس الوادي الساطعة تبث فيها حرارة القوة والحيوية ، وغذاها هواء الصحراء الجاف يبعث فيها خصائص التجلد والمصابرة ، ورواها ماء النيل عذبا يندفع في عرمه وكفاح .

انك لتحدد بصرك في ذلك الوجه ذي البشرة الملوحة السمراء ، فتبين لك حمرة الدم الحي .. لكأنها حمرة

الليل فى أوج فيضانه ، ودروة عنفوانه ، يفيض الوادى الخصيب بالخير والبركات .

فى وقفة هذا البطل الفارع ، رأسه المرفوع ، ومنكبيه العريضين ، وهو يشرف الأفق بين السر المتوثب ، يتمثل جلال الماضى ، ونعطة الحاضر ، وأمل المستقبل .

شبه هو فى وقفته تلك بالمصرى الأول «رمسيس الثانى» يتقدم جيشه المحتشد ، وهو على أهبة الغزو المظفر .

بل ما أشبهه بأخيه « أحمس » محرر الوطن ، فى يمينه قوسه وسهامه ، يسوق الرعاة العاصين سوق النعم ، ليجلوهم عن الأرض الطهر .

بل ما أقربه شبها الى البطل « صلاح الدين » يقيم للعروبة مكانة سامقة ، لا تنال منها صروف الأيام ..

كان « صلاح الدين » بطل « فلسطين » ، وسيد « بيت المقدس » ، وذلك هو حليفته ، يرفع راية العرب خفاقة تبهر العيون من مهابة ، وترد كيد المعتدين من خوف وفزع ..

حقا انه لرائد هذا الوطن العربى الكبير ، فيه تتمثل روحه الطموح ، وتتجسد عبقريته الثائرة ..

انه ليتهض بهذا الوطن بهضته الكبرى ، ويبشر الوعى القومى الشامل ، ويقيم فى ربوع البلاد صروحا من الاصلاح عالية البناء ، بها تتحقق المبادىء القويمة ، ويبدو المثل الرفيع .

هذا هو الرائد الذى استطاع أن ينزع عن عاتق الوطن تلك الشملة السوداء التى رانت عليه طوال العهود .

ها هو ذا يعرفها كل معرق ..

ها هو ذا يصرم النار فى بقاياها ، فتعدو هباء تذروه الرياح ...

انه ليباعد بين أمته وبين تلك الظلال القاتمة الكئيبة ، تلك التى عشنا فى حلوكتها أعواما مديدة .

هو الرائد الأول ، لا ريب ..

الرائد الذى رأى بنور بصيرته أن وراء الليل الأسود فجرا قريبا وصاح الصبا راهى الاشراق ..

الرائد الذى لم تعوره فى سعيه الحشف حسارة واقدام، ولا ردته عن بلوغ الغايات معاولة وحلاد ..

الرائد الذى لا يشيه خوف ولا رهب .

لم يراقب فى زعامته ومراميه الا الله ... اذ آمن بان للكون ربا بيده مساق الأقدار ، واليه مصير كل شىء فى الوجـــود ..

لم يراع فى أعماله ومساعيه الا ضميره الحق .. ذلك الذى يتصدى له فيما يسر ويعلن ، ويشير عليه فيما يأخذ وما يدع .

لعمرك ما كان لهذا البطل ان يبلغ من زعامة الأمة ذلك المبلغ العميق ، الا بعد أن اكتسب فى سيطرة وتمكن صفة الزعامة المثلى ، بل فضيلتها الاولى **الشجاعة ؛ شجاعة الرأى ، وشجاعة النفس ، وشجاعة الارادة ..**

لقد كانت صفات الزعامة كامنة فيه ، خلقت معه ؛ وعملت الاحداث عملها فى تنمية تلك الصفات العالية ، فاذا هى تتضح ، واذا هى على مر الأيام تزداد من نصح ، حتى دقت الساعة الحاسمة ، تشد رحلها ، وتنادى بطلها . وكانما كانت تناديه ، وكانما كانت تعنيه .

ومضى على الطريق ، يذلل الصعاب ، ويتحطى العراقيل ، ويصنع المعجزات ..

حسبه انه صانع جمهوريتنا الفتيـــة ، جمهوريتنا الحاضرة ، بما وفر لها من حرية سياسية ، وبما ارسى فيها من قواعد العدالة الاجتماعية ، ووسائل التقدم الاقتصادى ، وبما واتاها به من قـدره على التطور الاصـــيل فى شتى المجالات والميادين .

حسبه اليوم انه اذا شاء ان يجهر بكلمة « لا » قويه مدوية ، فليس شىء فى الأرض بقـــادر على أن يثنيه عنها ترغيب أو ترهيب .

لقد نطق بها غير مرة ، فاصاب بها انتصارات فذة . وكانت فى سمع الزمان فصل الخطاب ..

انه ليسدد كلمته الآيـة ، فيصيب بها المرمى البعيد ..

ذلك لانه يقدر هذه الكلمة حق قدرها ، فيعرف كيف تقال ؟ واين تقال ؟ ومتى تقال ؟

ينطق بحـــه الزعيم الذى حلق فى الحرب ، فعرف كيف ترسل القذيفة ؟ واين تكون الرمية ؟ ومتى يصاب بها الهدف ؟

ايها المواطن الزعيم :

انت الساعة تنسى مجد وطنك العربى الكبير ، وانت فى الوقت عينه تنسى لنفسك مجدا وان لم ترد ، ولا غرو ، فلا فاصل بينك وبين الوطن الذى قدسته بروحك ، بجهادك ، وما زلت له سمح النفس فى موقف الفداء .

اى فاصل بينك وبين وطنك ، وهذا الوطن اليوم وحدة شاملة تجمع « الزعيم » و « الشعب » معا ؛ فتحمل منهما جسما واحدا وروحا واحدة ؟

اهنأ ايها البطل المتسامى بنظرته الى العلى ، المتطلع الى الافق المشرق ، افق الامل الزاهر ..

اهنأ بما كسبت للعروبة من مجد ، وما عقدت بناصيتك من غور .

تابع خطاك ..
الى الامام ..
الى القمة بعد القمة ..
والامة العربية من حولك ، ويد الله مع الجماعة .

محمود تيمور